

لتحفيزها على مهاجمة الاتحاد السوفياتي. مسلسل خيانة زعماء الغرب لأصدقائهم وحلفائهم في الغرب نفسه استمر بعد الحرب العالمية الثانية حيث وافقت واشنطن ولندن على تسليم موسكو المواطنين السوفييات الذين كانوا قد انضموا إلى الحلفاء الغربيين في الحرب، وكذلك الفارون من الثورة البلشفية. يضاف إلى ذلك خطط بريطانيا لتقاسم ألمانيا بين الحلفاء الغربيين، لكن واشنطن رفضت ذلك وعمدت إلى تشجيع الدائرين في فلنكها من الألمان إلى إعلان قيام الجمهورية الألمانية الاتحادية في 7 أيلول 1949 ضمن حدود عام 1937، التي تتجاوز حدودها الشرقية الحالية، ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الألماني. بعد ذلك بشهر، أعلن الشيوعيون في منطقة الاحتلال السوفياتي قيام الجمهورية الألمانية الديمقراطية. ثم عمد الغرب إلى تشكيل منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو)، ولم تلجأ موسكو إلى تشكيل حلف فرسوفيا إلا بعد انضمام ألمانيا الغربية إليه في عام 1956.

المهم في الأمر، تأكيد حقيقة زراعية سياسات واشنطن، لكونها ممثلة للغرب الاستعماري. فقد استخدمت مختلف الذرائع خدمة لهدف واحد هو السيطرة على العالم آخذين في الاعتبار أن قادتها يعدون بلادهم نهاية التاريخ وأنها مملكة الرب النهائية. فقط من هذا المنظور، على المرء الحكم على الشعارات البراقة التي تطلقها واشنطن وحليفاتها الغربيات للتمويه على هدفها الحقيقي الذي لم تنفقه يوماً.

ومن هذا المنظور على المرء النظر إلى حملة واشنطن الحالية المسماة مكافحة الإرهاب. واشنطن ترفع هذا شعار فقط بهدف العودة إلى المنطقة بعد هزيمتها في أفغانستان والعراق، لذا من الصحيح النظر إلى أنها هي وحلفاءها من أعراب النفط وأنقرة، ضالعة ومتورطة حتى نخاع العظم، كما يقال، في خلق التنظيمات الإرهابية في المنطقة بما يمنحها ذريعة العودة بهدف إنقاذ المنطقة. ليس ثمة من خطر يهدد واشنطن ينأت من المنطقة، وكل ما تريده من خلال الدمار الذي تلحقه بها، إضافة إلى كسب عقود إعادة الإعمار، إكمال محاصرة موسكو وأوراسيا [الإسلامية] بهدف السيطرة على ثروات تلك البلاد وتحقيق السيطرة الكاملة على العالم. ومن هنا وجب فهم مواقف موسكو وبكين، علماً بأن كتب التاريخ لا تخبرنا بأن لأي من الدولتين خطأ استعمارية.

وإذا كانت وثائق ويكيليكس وأوراق سنودن قد عرت واشنطن وحليفاتها على نحو غير مسبوق تاريخياً، وفضحت تجسسها حتى على مكالمات قادة حلفائها الشخصية، فإن الأجيال القادمة ستكتشف حقيقة مؤامرات واشنطن وخططها تجاه بلادنا وشعبنا الجارية الآن. لكن استباق ذلك واجب وطني حتى لا ينطبق علينا القول: «وصلوا إلى الحكمة، لكن بعد فوات الأوان».

بل ستتجاوزها.

ث. باتت خيارات أميركا وحلفائها محدودة ومقيدة، ليس أمامهم فعلياً إلا تمديد الأزمة، دون أي تعديل محتمل في ميزان القوى الميداني إن ذهبوا للتصعيد أو أصروا على تسوية بشروطهم: كتخني الرئيس بشار الأسد قبل القضاء على الإرهاب، أو لمرحلة انتقالية كما يطرحون.

ج. الانتصار على الإرهاب في سوريا لا رجعة عنه وفرصه واقعية ومكتملة وكبيرة جداً. وإذا ما تحقق، حسب المقرر، سيعني ذلك انتقال هذا الإنجاز إلى بقية الدول العربية في المنطقة، وأن روسيا وإيران باتتا خشية خلاص شعوب المنطقة من الإرهاب، بعد أن تطوي هذه الشعوب وجهاً كمشأ عن أميركا وسياساتها المخادعة.

ح. يستتلي ذلك حضوراً عالمياً لقوى ناهضة، يعيد للعالم بعضاً من معاني الشراكة المفقودة والتوازن والاحترام المتبادل بين القوى الفاعلة.

* باحث لبناني

إلى هاري ترومن بطل محرقتي هيروشيما وناغازاكي، دعمت الخطة، لكن القادة العسكريين الإنكليز اعترضوا خشية من أن ينتهي أمرها إلى الهزيمة وانسحاب القوات الأميركية من أوروبا استعداداً لغزو اليابان، وتمكن القوات السوفياتية من احتلال أوروبا الغربية وحتى بريطانيا نفسها.

واشنطن نفسها وضعت خطاً أخرى لمحو الاتحاد السوفياتي بواسطة القنابل الذرية وفق خطة "بلان توتالتي/Plan Totality". الخطة وضع تفاصيلها الجنرال دوايت آيزنهاور، بناءً على أوامر هاري ترومن، بطل هيروشيما وناغازاكي، لكن بعد مؤتمر بوتسدام عام 1945 الذي حدد الخطوط المشتركة لمصير ألمانيا بعد الحرب، وتقتضي بقصف الاتحاد السوفياتي بعشرين إلى ثلاثين قنبلة ذرية على مدنه الرئيسية ومنها، في الدفعة الأولى، موسكو وغوركي

«سياسة الاحتواء» مصطلح عنى في جوهره منع انتشار الفكر الاشتراكي في العالم

وتبليسي (عاصمة جورجيا، وطن ستالين) ولينينغراد وباكو ومولوتوف وستة عشر مدينة أخرى.

ويضاف إلى القائمة خطة عام 1967 (دروبشات/Dropshot) المثيلة، التي كشف النقاب عنها عام 1977. من المهم هنا تذكر أن الجنرال آيزنهاور، رئيس الولايات المتحدة لاحقاً، أمر مساعديه عام 1956 بإعداد دراسة عن نتائج حرب نووية مع الاتحاد السوفياتي. عندما تبين له أن تأثيرها في بلاده وفي أوروبا سيكون مدمراً، اضطر إلى تغيير سياساته العدوانية المفضوحة ضد الدول والقوى التي صنفتها على أنها معادية.

لقد وجد صراع مستمر بين مختلف القوى حول بعض السياسات ومنها بين لندن وواشنطن حيث رفض روزفلت دعم مطالب تشرشل بخصوص بولونيا وتعويزات الحرب، كذلك فإنه اتفق مع ستالين على أوضاع آسيا الوسطى أي أوراسيا، ضد رأي تشرشل بما عرضه في مجلس العموم لتهمة خيانة الحلفاء. قبل ذلك، بريطانيا وفرنسا كانتا قد خانتا بولونيا عندما تعرضت للاحتلال النازي حيث اكتفت الأولى بدابة بقصف مدن ألمانيا بمناشير ورقية، أما الثانية فعمدت إلى تحريك قوات لها قرب الحدود الألمانية، لا أكثر.

يضاف إلى تهم خيانة بريطانيا أصدقاءها من قبل في اتفاقية ميونيخ مع هتلر. هنا لا بد من التعجب من وقاحة لندن بخصوص اتفاقية عدم الاعتداء بين موسكو وبرلين عندما تبين للأولى محاولة الدول الاستعمارية تقديم التنازلات للأخيرة

أما تشرشل، الغارق حتى رأسه في أكثر المؤامرات خسة وأكثرها وضاعة، حتى على حلفائه كما سنرى لاحقاً، فقد طلب من قادته العسكريين وضع خطتين لغزو الاتحاد السوفياتي. العملية عرفت باسم "عملية ما لا يخطر على بال/Operation Unthinkable"، مستخدماً قوات الحلفاء وأسرى القوات الألمانية النازية وحشد لها نحو مليوني جندي. الهدف كان استغلال التفات الاتحاد السوفياتي إلى الحرب على اليابان في الشرق، واضطراره إلى سحب قواته إلى هناك. خطة تشرشل المصاب بسعار عنصري مدمر لم تكن تهدف إلى تدمير الاتحاد السوفياتي فحسب، بل أيضاً القضاء على العنصر السلافي.

«عملية ما لا يخطر على بال»، التي كان من المفترض أن تنطلق بتاريخ 1945/07/01، بهجوم 47 فرقة بريطانية وأميركية، تُضاف إليهم قوات بولونية ومئة ألف جندي ألماني من أسرى الحرب في الجبهة الغربية، على القوات السوفياتية في منطقة دريسدن، بقيت سرية إلى أن رفع غطاء السرية عنها في عام 1998، لكن موسكو كانت على علم بها وقتها حيث تبين مدى تغلغل وكلاء استخبارات موسكو في 10 داونغ ستريت. واشنطن، التي انتقلت زعامتها

يوغسلافيا وألمانيا، من تحريرها بعد انسحاب القوات الألمانية والإيطالية منها. لقد قامت القوات البريطانية بإعادة احتلال اليونان، بمشاركة متواضعة من حليفها اليوناني المحلي بزعامه بابانديرو، وهو والد الزعيم اليوناني الأسطوري أندرياس بابانديرو، وارتكبت هناك المذابح بحق المحاربين اليونان حيث علقت لهم المشانق في الميادين، وأطلقت النار على المتظاهرين العزل في ميدان سنتيغما الواقع في وسط العاصمة أثينا؛ ثم يمتلك الغرب الوقاحة والصفافة للحديث عن قمع ما يسمونه انتفاضة المجر عام 1956.

تقاسم مناطق النفوذ كان جزءاً من تفاهم شامل بين موسكو وواشنطن بخصوص مستقبل الحرب وثمان لدخول الأولى في الحرب على اليابان إلى جانب الولايات المتحدة وفق تاريخ محدد هو ثلاثة أشهر بعد انتهاء الحرب على ألمانيا النازية، وهو ما حصل فعلاً. روزفلت لم يعش ليرى ذلك، لكن ترومان حاول منع تنفيذ الاتفاق عندما قرّر استخدام القنبلة الذرية ضد اليابان في محاولة استباقية لمنع مكاسب روسية وفق التفاهم آنف الذكر، ومن ذلك شبه استعادة جزيرة سخالين وغيرها التي ضمتها اليابان في حروب سابقة!

على المرء الحكم على الشعارات البراقة التي تطلقها واشنطن وحليفاتها الغربيات (الف ب)



والتجاري كشريك موعود يمكن أن يكون بديلاً فعالاً للمالك الخليج وأبراجها. حلفاء الأميركي باتوا عبئاً أكثر منهم سندا له، فهل سيتترك المسألة مفتوحة على الستاتيكو الحالي للإدارة الأميركية المقبلة؟ يُستبعد ذلك. والسبب هو أن مدة السنة ونصف السنة كفيلاً، وفق التوازنات المستجدة في سوريا في ضوء التدخل الروسي، بأن تُمكن الحكم في سوريا من فرض واقع جديد. سيطول نرف الحليف السعودي في اليمن، وقد يزداد. لذلك، تقتضي المصلحة أن تسير المملكة بالتسوية في سوريا، ومن حقها أن تلقي اللوم على الأنظمة العربية الخليجية لأنها لم تطلب منه ما لا تقوم هي بفعله. من هنا يمكن اعتبار اللجنة المشكلة من الأوروبيين والروس والأميركيين والإيرانيين، هي اللجنة الفعلية المفوض إليها حل الأزمة وليس تلك التي التامت إرضاءً للسعودية بالأمس القريب. لذلك، يُمكن استخلاص النتائج الآتية:

أ. سقوط النظام في سوريا بات مقروناً

بتلقى رسالة تصعيد نوعي في سوريا أن يُرسل يمثلها عسكرياً، في مساحات الصراع والبؤر المتورثة الأخرى، أو سياسياً واقتصادياً على امتداد الصفائح الساخنة أو القابلة للتسخين. كذلك، إن الذي سلف السعودية قراراً دولياً في مجلس الأمن، يستطيع أن يفزعه من محتواه عملياً. لذلك سيحكم المشهد أسقف واضحة في التصعيد النوعي الموعود من حلفاء أميركا.

تصعيد سيقصر على سلاح البر الذي بدوره لن يغيّر كثيراً في الميدان وأقصى ما يُمكن فعله هو تأخير التقدم لبعض الوقت، فضلاً عن أن عنصر المباغنة، الذي بدأتها الضربات الروسية والسورية ميدانياً، نزع من المعارضة المسلحة عنصر السيطرة في الإدارة.

يبدو الأميركي أمام خيارات أفضلها دون ما يرتجي أو يأمل. فالموقف الأوروبي بقوته الأساسية، ألمانيا، يميل بقوة إلى عقد تسوية وهو حال أكثر دول أوروبا وتنتظره إيران، وينتظرها، للانفتاح الاقتصادي